المحاضرة الأولى: مفهوم التداولية وتطوره في علوم اللّسان

تسعى هذه المادة إلى تقديم أحد فروع المعرفة اللغويّة الجديدة في ساحة البحث اللغوي واستثمارها في البحوث اللغويّة العربية، وهي التداوليّة في شقّها المعرفي والتحليلي في محاولة تأسيس وعي بالمنهج التداولي الذي أخذ نصيبا وافرا من اهتمامات الباحثين والدارسين الغربيين والعرب كذلك.

يمكن وصف تاريخ التداولية على أنه تقاطع لحركات فكرية متعددة، جاءت من الإبستمولوجيا والسيميائيات (موريس، 1938)، وفلسفة اللغة (أوستن، 1962؛ سيرل، 1969)، والمنطق (فريجه [1892]1952؛ راسل، 1905)، واللسانيات (هورن، 1972؛ ويلسون، 1975؛ كيمبسون، 1975؛ غازدار، 1979).(عن: جاك موشلار).

التداولية ومقابلها الأجنبي Pragmatique[1]/Pragmatics تُنسب غالبا إلى المحاضرات الشهيرة التي ألقاها جون أوستين (ت1960) والمعروفة ب" محاضرات وليم جيمس William Jamesسنة 1955 بجامعة أكسفورد وجُمعت بعد ذلك ونُشرت في كتابه" كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، مُقدّما في العموم مفهوما محوريّا "الفعل الكلامي" في نظريّة أساسيّة للتداولية وهي "نظرية الأفعال الكلاميّة"، وتوالت الأبحاث بعدها والدّراسات مولية اهتمامها الشديد بهذا المجال البحثي الجديد وأضحت من أهمّ مجالات البحث اللغوية المنتشرة في العالم الغربي والعربي على السّواء.

"وُلِدت النّزعة التداوليّة ونظرياتها الإنجازيّة والتخاطبيّة والحجاجية في الدّراسات اللغوية سدّا لثغرة أحدثها قصور المقاربة الصوريّة الصارمة عند بعض البنيويين وبعض التوليديّين عن الإحاطة بأبعاد الظاهرة اللغوية وجهاتها المتعدّدة"[2]، حيث إنّ "الفرضيات السوسيرية التي تبنتها البنيوية تضبط شروط استعمال الأبنية اللغوية، ولكنها تعمى معرفيا أو تقصر عن إبصار شروط استخدام اللغة وتوهم أن ضبط شروط استعمال الوحدات اللغوية بالقواعد الصرفية والنحوية

---

[1] _ pragmatisme مصطلح يعني فلسفة العمل تختزل الحقيقة في المنفعة: انظر: فيليب بلانشيه، " التداولية من أوستين إلى غوفمان"، ص28.

[2] _مسعود صحراوي، "لحظة ميلاد التداوليّة – نظرية الأفعال الكلامية"، دار التنوير للنشر والتوزيع- الجزائر، ط 1، 2023، ص17.

الجارية في مختلف الألسنة يغني عن التفكير في شروط استعمال اللغة ويقوم مقامها"[3].

يمكننا أن نتساءل عن سبب انحسار الدّراسات اللسانيّة آنذاك وإلى زمن طويل في ثنائية الصوتيات/الصوتيات الوظيفية وعلم الصرف التركيبي، بيد أنّ اللغة تبدو وقبل كلّ شيء مكرّسة لإنتاج المعنى آن التواصل بها (حين التواصل بها) [والسبب أنّ السانيات أو اللسانيين] حين انفتحوا على مسألة المعنى، جعلهم يضعون قدمًا في مجال متحرّك بدا لهم خطيرا، نظرًا لصعوبة إخضاع المعنى لمنولة [منوال]شكليّة من جنس تلك المنوالات التي تؤثرها البنيوية...[واقتصر] علم الدّلالة على تحليل معاني الكلمات والجمل(توقف علم الدّلالة البنيوي عند حدود المعجم) حتى اقتحمت عليه الإشكالية التداولية حقله، [وحاولت اللسانيات التوليدية التحويلية أخذ المعنى بعين الاعتبار، لكن فقط من زاوية كونه عنصرا ثانويّا] وكان من بين أهم انتقادات اللسانيات الاجتماعية والتداولية على اللسانيات البنيوية هي عدم اهتمامها بالواقع الاجتماعي للاستعمالات اللغوية، فلا يمكن للدراسة اللسانية المحضة أن تفسّر الفرق بين: *طلبت مثلجات من الفراولة وطلبت مثلّجات من النّادلة بنيتهما متطابقة، لكن الدلالة تختلف في كلّ منهما*. وحدث انشقاق علم الدّلالة التوليدي (لايكوف) عن علم اللغة التوليدي التحويلي 1970، وانتقل علم الدّلالة معه إلى مركز الاهتمام، *واكتشف اللسانيون أن الفلاسفة كانوا قد اشتغلوا قبلا على سؤال المعنى حسب ليتش "leech*

تعريف التداولية:

ورد في تحديد التداولية تعريفات كثيرة أعمّها أنّها **دراسة اللغة في الاستعمال،**

وعُرّفت بأنّها **"ممارسة الفعل الكلامي"** (فرنسواز أرمينقو)، وأنّها **"علم التخاطب"**، ...

[3] _ إميل بنفنيست،"جهاز القول الشكلي"، تر: منصور الميغري، ص1، عن: عزالدين المجدوب، "نظام القول في العربية، الخصائص التركيبية والذلالية والتداوليّة"، ط1، 2015، ص9.

وتعريف آخر لها بأنّها" **تمثّل دراسة تهتمّ باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسميّات الخاصّة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي**" (ديلرDiller وريكاناتي)

ويعدّ مسعود صحراوي هذه التعريفات غير شاملة، فهي من باب تعريف الجزء بالكلّ، فمن شروط التعريف العلمي أن يكون جامعًا مانعًا، فإذا عرّفنا التداولية بأنّها ممارسة الفعل الكلامي، فماذا نعرّف الفعل الكلامي إذن؟ وماهو تعريف قواعد الخطاب؟ والإشاريات؟....

ويشير ليفنسون إلى أنّه لا يوجد تعريف كامل ومثالي للتداوليات، لأنها تعنى بالجوانب المعتمدة على السياق من بنية اللغة، وكذلك بمبادئ استعمال اللغة وفهمها التي تتجاوز البنية اللسانية الصرفة. ومن بين التعريفات الممكن قبولها، يقترح ليفنسون التعريف الآتي: "التداوليات هي دراسة العلاقات بين اللغة والسياق التي جرى تقعيدها نحويًا، أو ترميزها في بنية اللغة... وسيشمل هذا النطاق دراسة الإشاريات،...، ودراسة الافتراض المسبق وأفعال الكلام".

الفرق بين التداولية والعلوم اللغوية/ في طبيعة التداولية:

بين التداولية والعلوم اللغويّة من حيث طبيعتها *أنّها أداة معرفيّة لدراسة الدّلالات*، وليست موضوعا مستهدفا بالدّرس، فهي أداة دراسة لا موضوع مدروس، وبيان ذلك أنّ جلّ موضوعاته ومفاهيمه بطبيعتها ذات بعد منهجي أداتي، فهي وسيلة لظواهر لغويّة-تواصليّة، وإطلاق لفظ علم في تعريفها "علم استعمال اللغة" (فرانسيس جاك)، لا يرادُ به نفس المعنى حين *نطلقه على علم الأسلوب، أو علم النحو، أو علم الدّلالة، ...لأن هذه الحقول المعرفية موضوعات مقصودة بالدّراسة لذاتها، أمّا التداولية فنظرياتها ومقولاتها وجهازها المفاهيمي كله عبارة عن أدوات معرفية منهجية نتوسلها لبلوغ غايات أخرى، **على رأسها الدّلالة**:*

_ دلالة اللغة في السياق التواصلي الفعلي، وتحديد المعنى،

_ ودراسة الغاية الحجاجية في زمن التكلُّم، والاستراتيجيات التي يتخذها المتكلم لبلوغ أغراضه التواصليّة.

فالدرس التداولي معنيّ بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطه بما يمكن أن تعنيه هذه الكلمات منفصلة عن بعضها خارج التركيب والاستعمال.

_وتعنى بدراسة "مقاصد المتكلم ونواياه،

فالمقصد يحدّد هدف المرسِل من وراء سلسلة الأفعال اللغويّة التي يتلفّظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الخطاب، ومن ثمّة يصبح **توفُّر القصد والنيّة مطلبا أساسيّا وشرطا من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحقّقا ودالّا على معنى"**[4]

[4] _ نعمان بوقرة، "نحو نظريّة لسانيّة عربيّة للأفعال الكلاميّة قراءة استكشافيّة للتفكير التداولي في المدوّنة اللسانيّة التراثيّة، مجلة اللغة والأدب، ع17، 2006، ص 170.